

صلبة كما كانت تفعل هذه، ومثلما كان يصوغ شعره، منذ البداية، ويتصوره بلغته الكلام لا بلغة الطباعة. وعلى هذا فقد كان يعني، في الدراما دائماً أن يكتب مسرحيات تمثل لا مجرد أن تُقرأ. وكان يعني، فيما أرى، بالمسرح، أداة للتعبير عن وعي شعب أكثر منه وسيلة إلى شهرته الخاصة أو إنجازه. وإني لمقتنع أنك لا تستطيع أن تأمل أن تنجز أي شيء يستحق احتمال عبئه إلا إذا خدمته بهذه الروح. وبالطبع فقد كانت له بعض المزايا العظيمة التي لا يجرده سردها من أي شيء من مجده: وهي زملاؤه. وهم أناس أولو موهبة طبيعية في الكلام والتمثيل لم يتطرق إليها الفساد. ومن المستحيل أن نُفصّل ما أسدى إلى المسرح الأيرلندي عمّا أسدى المسرح الأيرلندي إليه. ومن نقطة الفائدة هذه تم الحفاظ على حياة المسرح الشعري حينما دُفِعَ به، في كل مكان آخر، إلى القبر. وليست أعرف أين ينتهي ما ندين به له كاتباً مسرحياً—ولن ينتهي، عاجلاً أو آجلاً، حتى ينتهي ذلك المسرح نفسه. وكان يؤكد، في كتاباته في المناسبات، حول موضوعات مسرحية، مبادئ معينة يجب علينا أن نتمسك بها على نحو ثابت، كأولوية الشاعر على الممثل، والممثل على مصور المشاهد، والمبدأ القائل إن المسرح، في الوقت الذي لا يحتاج فيه إلى أن يكون معنياً «بالشعر» فحسب، بالمعنى الروسي الضيق، يجب أن يكون للشعب، وأنه لكي يكون ذا ديمومة لا بدّ له أن يُعنى بمواقف أساسية. وكان، هو المولود في عالم يقبل بصورة عامة مذهب الفن للفن، والذي استأنف حياته وسط عالم كان يطلب فيه إلى الفن أن يكون وسيلة إلى أغراض اجتماعية، يتمسك بحزم بالنظرة الصائبة التي تتوسط هاتين النظرتين على الرغم من أنها ليست، بحال من الأحوال، حلاً وسطاً بينهما، وقد بين أن الفنان حين يخدم فنه بالشمول الكامل فإنما يؤدي في الوقت ذاته أعظم خدمة يستطيع أن يؤديها إلى أمته، وإلى العالم كله.

وإذا كان المرء قادراً على الثناء فذلك لا يعني بالضرورة أن يحس بالانفاس الكامل. وأنا لا أؤري الحقيقة القائلة إن هناك جوانب من فكر بيتس وشعره لا تميل إليها نفسي. وأنا أقول هذا مجرد الإشارة إلى الحدود التي وضعتها لنفدي. وإنما